

تَغْيِيهِ الْهَاجِدِ

إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْأَمْجَدِ
صَنَفَهُ

أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِي الْأَثَرِي

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي نبينا محمد أشرف المرسلين ، وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فقد سبق لي أن نشرت جزء من هذا الكتاب يحتوي علي خمسمائة تعقب ، وجعلته طليعة للجزء الرابع من كتابي « الثمر الداني في الذب عن الألباني » وقد أبنت فيه عن مقصدي في مقدمته ، التي أثبتها في هذه الطبعة .

وكنـت قد أرسلـت هذا الجزء إلى شيخنا أبي عبد الرحمن الألباني رحمه الله تعالى مع أحد إخواننا الكويتيين في آخر سفرة لي إليها عام (1419هـ) وإتصلت به بعدها بعدة أشهر أثناء إنعقاد أحد المؤتمرات الإسلامية بأمريكا ، وكان الشيخ أيامها مريضا، فكلـمته وسألته عن الكتاب . وهل قرأه ، فقال : « نعم قرأته، وهو كتاب جيد، زادك الله توفيقا» فرحم الله شيخنا ، و رفع مقامه . ثم خطر لي أن أجعله كتابا مستقلا ، فجمعت مادته من مصنفاتي التي لم تطبع ، ومما عرض لي أثناء تحقيقاتي و خريجاتي ، فجاء كتابا حافلا في ستة مجلدات والحمد لله . ولقد وجدتها فرصة سانحة لي أن أثبت فيه بعض مصنفاتي القديمة ، والتي فقدت جزءا منها فلم انشط للنظر فيها ، لانها تحتاج إلى جهد جهيد ، ووقت مديد ، و عزم حديد لا أجد له من فراغ البال ما يمكنني من إتمام النقص الواقع فيه مثل كتابي « إتحاف الناقم بوهـم أبي عبد الله الحاكم » . وكنـت أحصيت أنواع الأوهام التي وقعت للحاكم في « المستدرک » فتجاوزت خمسة عشر نوعا : منها ما قال فيه : « على شرطهما أو أحدهما ولم يخرجاه » و يكونا قد أخرجاه . فهذه ثلاثة أنواع . ومنها ما قال فيه : « علي شرطهما » وهو علي شرط واحد منهما . ومنها ما قال فيه : « علي شرط البخاري » ويكون علي « شرط مسلم » و العكس . ومنها ما قال فيه : « علي شرطهما أو علي شرط أحدهما » وليس كذلك ، بل ليس صحيحا ، وقد يكون ضعيفا أو باطلا أو موضوعا . ومنها ما يصححه مطلقا وليس بصحيح أصلا ، ومنها ما قال فيه : « أخرجاه أو أحدهما مختصرا » و يكونا قد أخرجاه أو أحدهما بأوفي من سياقه . إلى آخر هذه الأوهام . وقد ظفرت بنحو مجلد ونصف من هذا الكتاب ، فرأيت نشر ما ظفرت به . وكذلك كتابي « الجزم بشنوذ بن حزم » وهو من أوائل ما صنفـت وقد وضعته ذبا عن رواة معروفين ، زعم ابن حزم أنهم مجاهيل . ولم اتعرض فيه للرواة الذين ضعفهم ابن حزم في كتبه . وقد ظفرت بقدر صالح من هذا الجزء . فرأيت أن أنشره أيضا . هذا ، وقد رفعت من المجلد

الأول عدة تعقبات ، إما لأنها تكررت سهواً مني ، أو لانيي أعدت النظر فيها ، ورأيت وجه التعقب فيها ضعيفاً ، إلى غير ذلك من الأسباب ، وهاك أرقامها (8 ، 63 ، 99 ، 110 ، 143 ، 145 ، 147 ، 177 ، 217 ، 260 ، 268 ، 295 ، 368 ، 376 ، 454 ، 485) . وقد أضفت كثيراً من الفوائد والتخريجات علي أغلب تعقبات الجزء الأول نصيحة للمسلمين ، وأداءً لحق العلم وكنت أرجو ألا أثبت حديثاً إلا و أتكلم عليه بالصحة أو الضعف ، وقد حاولت ذلك في مواضع شتى من الكتاب ، ولكن الذي أغراني بإهمال ذلك أنني وضعت كتابي لغرض آخر ، ولعلّي أستدرك ذلك في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى . و أوصي أهل العلم أن يكتبوا لي ما يجدونه من تنبيهات ستكون موضع العناية والدرس مني ، ولهم شكري سلفاً . ثم إنني أخيراً أشكر أخانا في الله أحمد بن عطية الوكيل علي عنايته بمراجعة تجارب الكتاب ووضع فهرسه الرائقة في خاتمة كل جزء . و الحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً .

وكتبه : أبو إسحاق الحويني الأثري

السبت 18 / ربيع الآخر / 1423 هـ - 29 / يونيو / 2002

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، و سيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى ، فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
[آل عمران : 102].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ الْآرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء : 1] .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب : 70 ، 71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إِبَاهِيمَ وعلى آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد.

«فالحمد لله الذي لا يؤدَّى شكر نعمته من نعمه، إلا بنعمة منه توجب على مؤدَى ماضى نعمه بادائها : نعمة حادثة يجعليه شكره بها ، ولا يبلغ الواصفون كُنْهَ عظمته ، الذي هو كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه ، أحمده حمدا كما ينبغي لكرم وجهه عزَّ وجلَّ ، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به ، واستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه ، وأستغفره لما أزلفت وأخرت

، استغفار من يُقرُّ بعبوديته ، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ، ولا ينجيه منه إلا هو ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله .
فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمة قبل استحقاقها ، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان
عليما اوجب به من شكره بها ، الجاعلنا في خير امة اخرجت للناس ، ان يرزقنا
فهما في كتابه ، ثم سنة نبيه ، وقولا وعملا يؤدي به عنا حقه ، ويوجب لنا نافلة
مزيدة» (1) .

فإن الله - جل ثناؤه - لما خلق الناس ، ركز في فطرهم محبة الإحسان ، والخضوع
له ، كره لهم الكبر والعلو في الأرض بغير الحق .
فقال جل ثناؤه ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهٌ أَحْسَنُ﴾ [الرحمن : 60] .
يعني لا ينبغي أن يكون الإحسان إلا من حسنه ، فليس لمن أحسن

(1) اقتباس من كلام الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ورضي عنه في مقدمته لكتابه (الرسالة) تحقيق المحدث النبيل أبي الأشبال أحمد شاکر رحمه الله .

العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه غي الآخرة .
و ما أجمل قول القائل : ليس هناك حمل أثقل من البر ، من برك فقد اوثقك ، ومن
جفاك فقد أطلقك . فإن أردت إسترقاق إنسان ، فأحسن إليه ، فيكون ذلك مانعا
إياه أن يوصل السيئة إليك .
ومما يدلُّك علي صحة ما أقول من أن محبة الإحسان ، والخضوع لأهله مركز في
فطر الناس ، حتي الكافر ، ما أخرجه البخاري (329-333) ، وأحمد
(324/4 ، 329) وغيرهما من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، وذكر
حديثه في ((صلح الحديث)) وفيه :

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى،
 قَالَ أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:
 أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكْلَظَمَةَ بَلَّحُوا عَلَيَّ جُنُتَكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي
 وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَيْنِ: هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ، اقْبَلُوهَا
 وَدَعُونِي آتِهِ. قَالُوا: أَتَيْتَهُ. فَتَلَّاهُ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيلٍ ⁽¹⁾ فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ
 مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ طَسَلْتُكَ أَمْرَ قَوْمِهِ لَسَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ
 قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنِ الْإِثْرَى فَإِنِّي - وَاللَّهِ! - لَا أَرَى وَجُوهًا وَإِنِّي لَا أَرَى أَشْوَابًا -
 وفي رواية: أوباشا حنَّ النَّاسِ حَمَلِيْقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ.

(1) قال النبي صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء الخزاعي إِنَّا لَمَجْنُونٌ نَجِيٌّ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جُنُنَا
 مُعْتَبِرِي قَرِيْبٍ شَاءَ قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ فَيَنْ شَاءُوا مَا دَدْتَهُمْ مُدَّةً وَيُخْلُوا بَيْنِي
 وَبَيْنَ الْقَلْبَيْنِ أَظْهَرَ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلْقَادُ جَمْعُهُمْ وَإِنْ
 هُمْ أَبَوْا الَّذِي نَفْسِي بِيَلْقَتُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلِيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ
 فَقَالَ بُدَيْلٌ نَسَابَلُهُمْ مَا تَقُولُ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمُصْصُ بِيْظَرِ الْكَأْنَحَيْنِ نَفَرْتُ وَنَدَعُهُ؟
 فَقَالَ عُرْوَةُ: مَنْ ذَا؟

قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ!

قَالَ: أَمَّا وَلَدِي نَفْسِي بِيْدِهِ! لَوْ لَا يَدُ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ اجْزِكَ بِهَا لِجَبَّتِكَ ..
 [حديث]

وَأَخْرَجَ بَعْضُهُ: أَبُو دَاوُدَ (2765)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبْرِ». كَمَا فِي «
 أَطْرَافِ الْإِزْي» (383/8). وَغَيْرُهُمَا.

فَانْظُرْ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ مُنْصَفٍ - قَوْلَ عُرْوَةَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَمَا مَنَعَهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ
 وَقَدْ بَالِغٌ فِي عَيْبِ آلِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ الْإِحْسَانِ الْمَتَقَدِّمِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ لَهُ.

وقد ورد في رواية ابن إسحاق عن الزهري في هذا الحديث أن عروة قال لأبي بكر :
 «لولا يد لم اجزك بها ، ولكن هذه بها » كأنه قال له : هذه الإساءة منك إلي
 آلهتنا قد استوفيت بها جميلك السابق عندي ، فلم يبق لك حسنة تمنعني من الرد في
 قابل إذا أسأت إلي .

وأما من جفاك ، وأساء إليك فما استودع يدًا نعه من رد السيئة بثلاثها وزيادة ،
 لذلك كان طليقا لا يوقفه شيء .

وإذ الأمر كذلك ، والوفاء سجية وخلق ، فما أعلم أحد - بعد والدي - له
 علي يد مثل شيخنا الشيخ الإمام ، حسنة الأيام ، وريحانة بلاد الشام ، أبي عبد
 الرحمن محمد ناصر ⁽¹⁾ الدين الألباني ، ألبسه الله حُلل السعادة و كافأه

(1) توفي شيخنا رحمه الله و رضي عنه يوم السبت 22 / جمادي الآخرة / 1420 هـ الموافق 2/10/1999 بعد عصر هذا اليوم ، فاللهم ارض عنه و اغفر له و ارحمه كفاء ما قدّم للمسلمين من
 تقرب السنة والذب عنها .

بالحسني وزيادة ، إذ الإطلاع علي كتبه كان فاتحة الخير العميم لي ، و أبدأ
 بديث أسوقه من أوله .

ففي صيف عام (1395هـ) كنت أصلي الجمعة في مسجد «ع □ □ يا» ، وكان
 إمام إذ ذاك ، الشيخ عبد □ ميد كشك ⁽¹⁾ - حفظه الله تعالى - ، وكان □ مار
 الكتب يعرضون ألوانًا شتى من الكتب الدينية أمام المسجد ، فكنت أطوف
 عليهم و أنتقي ما يعجبني عنوانه ، ف وقعت عيني يوما علي كتاب عنوانه « صفة
 صلاة النبي صلي الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها » . تأليف
 محمد ناصر الدين الألباني . فراقني اسمه . فتناولته بيدي ، وقلبت صفحاته ، ثم
 أرجعته إلي مكانه ، لأنه كان باهظ الثمن لمثلي ، وكان إذ ذاك بثلاثين قرشا ! و

مضيت أول بـ بائعي الكتب ، فوفقت علي كتاب لطيف الجم بعنوان ((تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم)). ففرحت به فرحة طاغية ، ولم أتردد في شرائه وكان ثمنه خمسة قروش ، ولم أشتري غيره ، لأنه أتى علي كل ما في جيبى ! ومن فرحتي و إغباطي به قرأته و أنا أمشي في طريقي إلي مسكني مع خطورة هذا السلك علي من يمشي في شوارع القاهرة ، ولما أويت إلي غرفتي تصفحت الكتاب بإمعان ، فوجدته يدق بعنف ما ورثته من الصلاة عن آبائي إذ أن كثيرا من هيئتها لا يمت إلي السنة بصلة ، فندمت ندامة الكسعي⁽¹⁾ اننى لم أشتري الأصل ، وظللت

(1) ثم توفي الشيخ رحمه الله في رجب (1417 هـ) اللهم اغفر له و ارحمه ، وارض عنه كفاء ما نافع عن دينك ، وما جاهر بكلمة الحق .

(2) و في " لسان العرب " (3876/4) قال : " والكسعي الذى يضرب به المثل في الندامة ، وهو رجل رام رمي بعد ما أسدف الليل عيرا فأصابه ، و ظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، وقيل : وقطع أصبعه ثم ندم من العد حين نظر إلي العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثالا لكل نادم علي فعل يفعله ، و اياه عني الفرزدق لما قال :

أحلم بيوم المعية قبل - و أدبر ثمن الكتاب طوال الأسبوع - ، و أنا خائفٌ وجلٌ أن لا أجده عند البائع ، و كنت أدعو الله أن يطيل في عمري حتى أقراه ، ومن الله عليّ بشرائه فلما تصفحته ؛ ألقيت الألواح ، ولاح لي المصباح من الصباح ! وهزني هزاً عنيفاً ، لكنه كان لطيفاً ؛ مقدمته الرائعة الماتعة في وجوب اتباع السنة ، ونبذ ما يخالفها تعظيماً لصاحبها صلى الله عليه وسلم ، ثم نقوله الوافيه عن أئمة المسلمين ، إذ تبرأوا من مخالفة السنة أحياء و أمواتا ، فرضي الله عنهم جميعا ، و حشرنا وإياهم مع الصادق المصدوق - بأبي هو و أمي - وقد لفت إنتباهي جدا حواشي الكتاب - مع جهلى التام آنذاك بكتب السنة الشهيرة فضلا عن غيرها من المسانيد والعاجم والشيخات وكتب التواريخ ، بل لقد ظللت

فترة في مطلع حياتي - لا أدري طالت أم قصرت - أظن أن البخاريّ صحابيٌّ ،
لكثرة ترضى الناس عنه .

وعلى الرغم من عدم فهمي لما في حواشي الكتاب ، إلا انني أحسستُ بفحولة
وجزالة لم أعدها في كل ما قرأته ، فملك الكتاب على حواسي ، وصرت في كل
جمعة أبحث عن مؤلفات الشيخ ناصر الدين الالباني ، ولم تكن مشهورةً عندنا في
ذلك الوقت ، لكساد الحركة العلمية ، فوقفت بعد شهر تقريباً على جزء من "
سلسلة الأحاديث الضعيفة " - المائة حديث الأولى ، فاشتريته في الجمعة التي تليها
لاتمكن من تدبير ثمنه .

أما هذا الكتاب فكان قاسمة الظهر التي لا شوى لها ! ، وهو الذي رغبني في دراسة
علوم الحديث .

غدت مني مطلقة نوار

= ندمت ندامة الكسعي لما

وفول الآخر :

رأت عيناه ما فعلت يده "

ندمت ندامة الكسعي

وذكر ابن منظور سبياً آخر

قلتُ : إن الحركة العلمية كانت هامةً في ذلك الوقت ، وكل من تصدّر لوعظ
الناس فهو عندنا عالمٌ ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا في ذلك الزمان - وهو
الشيخ كشك - الذي كان له بالغ التأثير في الناس بحسن وعظه ، ومتانة لفظه ،
وجرأته في الصدع بالحق ، لم ينجُ منحرفٌ من نقده مهما كان منصبه ، وكان في
صوته - مع جزالته - نبرة حُزن ، يتبعها الدمع من آقَى إنتزاعاً ، حتي من
غلاظ الأكباد و قساة القلوب ، فكان هذا الشيخ العالم الأول والأخير عندي ، لا
أجاوز قوله . وقد انتفعت به كثيراً في بداية حياتي ، كما انتفع به خلقٌ ، لكنني لما
طالعت " السلسلة الضعيفة " وجدت أن كثيراً من الاحاديث التي يحتج بها الشيخ

منها ، حتى خيل إليّ أنه يحضر مادّة خطبه من هذه " السلسلة " ، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب " إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي ، وكان الغزالي - رحمه الله - مزجى البضاعة في الحديث ، تام الفقر في هذا الباب !

فَعَكَّرَ عَلَيَّ كتاب الشيخ ما كنت أجده من المتعة في سماع خطب الشيخ كشك حتى كان يومٌ ، فذكر الشيخ على المنبر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يتجلى يوم القيامة للناس عامة ، ويتجلى لأبي بكر الصديق خاصة ⁽¹⁾ » . فلأول مرة أشك في حديث أسمع ، وأسأل نفسي : ترى ! هل هو صحيح أم لا ؟ ومع شكى هذا فقد انفعلت له و تأثرت به بسبب صراخ الجماهير من حولى ، استحساناً وإعجاباً ! .

ولما رجعت الى منزلى ، قلبت " السلسلة الضعيفة " حديثاً حديثاً أبحث عن الحديث الذي ذكره الشيخ كشك فلم أجده فواصلت بحثي ، فبينما كنت

(1) وهو حديث باطل كما حققته عند الرقم (1529) من هذا الكتاب والحمد لله في بعض المكتبات وقفت على كتاب " المنار الأنيف " لابن القيم - رحمه الله - بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى - رحمه الله - فوجدتُ الحديث فيه ، وقد حكم الإمام عليه بالوضع فيما أذكر ، فعزمت على إبلاغ الشيخ بذلك نصيحة لله تعالى ، وقد كان رسخ عندي أن التحذير من هذه الأحاديث واجبٌ أكيدٌ .

وكان للشيخ جلساتٌ في مسجده بين المغرب والعشاء ، فذهبتُ في وقت مبكرٍ لألحق بالصف الأول حتى أتمكن من لقائه في أوائل الناس ، فلما صلينا جلس الشيخ على كرسیه في قبلة المسجد ، وكان له عادة غريبة وهي أنه لا يديه ، فيقفُ

فوجدت في هذه المجالس ضالتي المنشودة ، ودرتى المفقودة ، فلزمته نحو أربع سنوات حتى توقفت دروسه بعد الإعتقالات الجماعية التي أمر بها انور السادات و أنهى الامر بمقتله في حادث المنصة الشهير ، و رحل الشيخ - رحمه الله - إلى السودان ، وظل هناك حتى توفي - رحمه الله - بالمدينة ودفن في البقيع كما قيل لى . رحمه الله تعالى .0

و اتاحت لى هذه المجالس دراسة نبذ كثيرة من علمى اصول الحديث و اصول الفقه ، و والله ! لا أشطط إذا قلت : إننى أبصرت بعد العمى لما درست هذين العلمين ﷺ ، و أقرر هنا أن ﷺ اهل ذين العلم ﷻ لا يكون عاﻻ مهما حفظ من كتب الفروع ، لان تقرير الحق في موارد النزاع لا يكون الا بهما ، فعلم الحديث يصح لك الدليل ، و علم أصول الفقه يسدد لك الفهم ، فهما كجناحي الطائر .

ولم يكدر علي متعتي بدروس الشيخ المطيعي رحمه الله إلا حطه علي الشيخ الالباني صاحب الفضل على بعد ﷻ عز وجل ، وكان ذلك بعد حادثة طويلة الزل ملخصها : أمن شيخنا ﷻ طيعى - رحمه الله - كان يتكلم عن قضاء

الفوائت ، و أن من لم يصل ولو لسنوات ، فيجب عليه القضاء ، و أطال البحث في ذلك . فقلت له - ولم يكن عندي علم بمن يقول بغير هذا المذهب من القدماء - قلت : إن الشيخ الألباني يقول : ليس هناك دليل على وجوب القضاء . فقال لى بلهجة . علمت بعد ذلك بزمان انه كان يقولها تحكما : من الألباني ؟ فقلت له : أحد علماء ﷻديث .

قال : لعله أحد أصحابنا الشافعية ؟

قلت : لا أدري ، لكنه معاصر لنا ، وقد علمت انه لا يزال حيا .

فقال لي حينئذ : دعك من ﷻعاصرين .

وكانت هذه أول مرة أسمعه يتكلم عن الألباني ، ثم توالي السيل .

ثم جاء الشيخ الألباني الى مصر في حدود سنة (1396هـ) أو بعدها بقليل ، وألقى محاضرة في المركز العام لجماعة أنصار السنة في عابدين ، وكانت محاضراته عن تخصيص السنة لعام القرآن ، وتقيدها بـ مطلقه ، وذكر من أمثلة ذلك الذهب المخلّق .

ولم يكن عندي علم بمحاضرة الشيخ ولا وجوده ، فرحل ولم أره ، وكان إحدى أمانى الكبار أن ألتقى به ، ولم يتحقق لى ذلك إلا بعد زمان طويل وذلك فى أول المحرم سنة (1407 هـ) وكان قد طبع لى بعض الكتب منها " فصل الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ والكتاب " و كنت فى هذه الفترة أتتبع كل أخبار الشيخ فكانت تصلنى أخبار عن شدته على الطلبة وقسوته عليهم ، و اعتذاره عن التدريس بسبب ضيق الوقت و إرهاق الدولة له ، فكدتُ أفقدُ الأملُ حتى قَبِلَ اللهُ لى أن ألتقى بصهر الشيخ - الأخ نظام سَكَّجَهَا - فى فندق بحى □□□ بالقاهرة ، فسألته عن الشيخ و إمكان التلمذ

عليه ، فأخبرنى أذلك متعذراً ، ولكن تعال وجرب ! فكان من خبرى أن سَطَرْتُ رسالة للشيخ قلتُ له فيها : إننى علمتُ أنكم تطردون الطلبة عن بابكم ، ولدى أكثر من مائتى سؤال فى علل الأحاديث ومعانيها ، ولا أقنع إلا بجوابكم دون غيركم ، فسأجمع همتى و أسافر إليكم فلا تطردونا عن بابكم ، أو كلاماً نحو هذا .

و أخبرنى الأخ نظام بعد ذلك أن الشيخ تأمَّم □□ قرأ حكاية " الطرد " هذه . وسافرت إلى الشيخ فى أول المحرم سنة (1407 هـ) ، واستخرجتُ تصريح العمل الذى يُخوَّل لى السفر بأعجوبة عجيبة ، و أمضيت ثلاثة أيام فى الطريق كان

هوانى فيها شديداً ، ومع ذلك لم أكثرث له ، لما كان يحدوني من الأمل الكبير في لقاء الشيخ .

ولما نزلت عملاً استقبلني الأخ الكريم أبو الفداء سمير الزهيري جزاه الله خيراً ، إذ أعانني في غربتي ، و آوانى في داره ، و بعد الوصل بقليل ، كلمنا الشيخ بالهاتف ، فرحب بي غاية الترحيب ، وقال لى : حللت أهلاً ونزلت سهلاً ، ولم أصدق أذن ! ، فأنا ذاهبُ اليه وقد هيأت نفسي ماماً على الرضا بالطرد ، إذا فعل الشيخ ذلك .

وقد بدأت بالسلام ، فرددتُ عليه السلام بمثل ما قال . فقال لى : ما أحسنت الردَّ ! فقلتُ : لما يا شيخنا ؟

فقال لى : إجعل هذا بحثاً بيني وبينك إذا التقينا غداً !
و ظلتُ ليلتي أُفكر في هذا الأمر ؛ ترى : ما وجهُ إساءتي الراد ، حتى خمنت أن الراد ينبغي له أن يزيد شيئاً في ردّه نحو : « و عفوه ، ورضوانه » ولم أكن وقفتُ على الحديث الذى قوى الشيخ فيه زيادة « ومغفرته » في الرد .

وكان الشيخ يصلى الغداة في « مسجد الفالوجا » بجوار منزل أبى الفداء ، ولم أذق طعم النوم ليلتي بسبب تأملى المسألة التي طرحها الشيخ ، و لم تكتحل عيني بنوم إلا قبيل الفجر ، وراح علىَّ بسبب ذلك لقاء الفجر مع الشيخ ، وكلمناه في الصباح ، فأعطانا موعداً عقب صلاة العشاء في منزل أبى الفداء .

وكان لقاءً حراً ، بدأتى الشيخ بالعناق ، لأننى لا يمكن أن أبدأه بذلك هيئةً له ، وكان معنا في هذا اللقاء الأخ الفاضل أبو الحارث على الحلبي حفظه الله ، وجلسنا نحو ساعة ونصف الساعة نسألُ ، والشيخ يجيبُ ، فلما تصرمت المِلمسة ،

وخرجنا من الدار ، إنتحيتُ بالشيخ جانباً ، وشرحتُ له باختصارٍ ما كابدتهُ في السفر إليه ، ولم يخرجني من بلدى إلا طلبُ العلم ، فلو أذن لي الشيخ أن أخدمه وأساعده لأتمكن من ملازمته ، فشكرني و اعتذر لي ، نظراً لضيق وقته .
فقلت له : أعطني ساعة كل يوم أسألك فيها . فاعتذر

فقلت له : أعطني ما يسمح به وقتك ولو كان قصيراً ، فاعتذر !
فأحسست برغبة حارّة في البكاء ، وتمالكت نفسي بعناء بالغ ، وأطرفت قليلاً ثم قلت للشيخ : قد علم الله أنه لم يكن لي مأربٌ قطُّ إلا لقاءكم و الإستفادة منكم ، فإن كنتُ أخلصتُ نيتي فسيفتح الله لي ، وإن كانت الأخرى ؛ فحسبي عقاباً عاجلاً أن ارجع إلى بلدى بخفى حنين !
وانا سأدعو الله أن يفتح قلبك لي .
ولست أنسى هذا الوقف ما حييت .

ثم التقيت بالشيخ في صلاة الغداة من اليوم التالي ، فقبلتُ يده - وهذا دأبي معه - فقال لي : لعلّ □ استجاب دعائك ؛ وكان فاتحة الخير . وكنت أكاد

أوقن أن □ سيستجيبُ لي ، وأن الشيخ سيقبلني عنده ، لا سيما بعد أن قابلت الأستاذ أحمد عطية - وكان من معظمي الشيخ قبلُ - ، فاستضافني في داره وقال لي : لما طبع كتابك « فصل الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ » والكتاب « اشتريت منه نسخة وقرأته فأعجبني أنه على طريقة الشيخ ، وكان الشيخ يقول : ليس لي تلاميذ - يعنى على طريقته في التخريج والنقد - قال : فأرسلت هذا الكتاب الى الشيخ وقلت له : وجدنا لك تلميذا ، وراجعتُ الشيخ بعد ثلاثة أيام فقال : نعم .

قلت : ﷺ قصَّ عليَّ الأستاذ أحمد عطية هذه الحكاية ضاعف من أملى أن يقبلني الشيخ عنده .

ووالله ! لقد عاينت من لطف الشيخ بي ، وتواضعه معي شيئاً عظيماً ، حتى أنه قال لي يوماً : صحَّ لك ما لم يصحَّ لغيرك ، فحمدت الله عز وجل على جسيم منته ، وبالغ فضله ونعمته .

فمن ذلك أني كلما التقيتُ به قبلت يده ، فكان ينزعها بشدَّة ، ويأبى عليَّ ، فلما أكثر قلتُ له : قد تلقينا منكم في بعض أبحاثكم في " الصحيحة " أن تقبيل يد العالم جائز .

فقال لي : هل رأيت بعينيك عالماً قطُّ ؟

قلت : نعم ، أرى الآن .

فقال : إنا أنا " طويلبُ علمٍ " ، إنا مثلى ومثلكم كقول القائل :
 إِنَّ الْبُعْثَ يَرْضَانَا يَسْتَسِيرُ !

وبدأت جلساتي مع الشيخ بعد كل صلاة غداةٍ في سيارته ، ولمدة ساعة ، ثم زادت المدة حتى وصلت الى ثلاث ساعات .

واستمر هذا الأمر ، حتى جاء يومٌ ولم يُصلِّ الشيخ معنا صلاة الغداة ، فحزنت لذلك لضياع هذا اليوم عليَّ بلا استفادة ، واستشرت من أثق برأيه من إخواني : هل أذهب الى الشيخ في بيته أم لا ؟

فكان إجماعهم أن لا أذهب ، لأنك لا تعلم ما ينتظرك هناك ، ولا يذهب أحد الى الشيخ في بيته إلاَّ وعِدِّ سابقٍ ، فلربما ردك ، فلا يكون بك لائقاً ، لا سيما بعد المكانة التي صارت لك عند الشيخ .

وبيتُ الذهاب ، ولكن قوى من عزمي أمران :

الأول : أن رفيقي آنذاك والذي كان يصحبني بسيارته الأخ الفاضل الباذل أبو حمزة القيسي جزاه الله خيراً - قد أيدني في الذهاب .

الثاني : أنني استحضرت قصة لابن حبان مع شيخه ابن خزيمة ذكرها ياقوتُ

بسنده إلى أبي حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري قال : كنا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بارد ! تنح عني ولا تؤذيني ! أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، ف قيل له : تكتب هذا ؟ قال : أكتب كل شيء يقوله الشيخ » اهـ .

فقلتُ في نفسي : ومالي لا أفعل مثلما فعل ابن حبان ؟ وحتى لو قال لي الشيخ مقالة ابن خزيمة لعددا من فوائد ذلك اليوم .

وانطلقنا إليه ، وكان من أفضل أيامي التي أمضيْتُها في هذه الرحلة ، فقد استقبلني الشيخ استقبالا كريما ، وأمضيت معه أكثر من ساعتين ، وكان

يخدمنا بنفسه ، ويأتينا بالطعام يضعه أمامنا ، فكلما هممت أن أساعده أبي عليٍّ ويشيرُ أن أجلس ، ويقول : «الإمثالُ هو الأدبُ بل خيرُمن الأدبِ »

ويعني به : أن الإمثال لرغبته في الجلوس خير من سلوكي الذي أظنُّه أدباً ، لأن طاعتي له هي الأدب . وكان يوماً حافلاً قصص على الشيخ فيه ما جرى بينه وبين الشيخ محمد نسيب⁽¹⁾ الرفاعي حفظه الله .

ولا يفوتني أن أقول : كنت قابلت الشيخ نسيب الرفاعي بصحبة الأستاذ أحمد عطية المتقدم ذكره في بيته بحى الهاشمي في عمان البلقاء ، ولقلما رأيت عيناى مثله في تواضعه وأدبه وحسن خلقه ، وكان معظم كلامه عن الشيخ الألباني ، وبرغم تقاربهما في السن الا انه كان يبالغ في تعظيم الشيخ ، وقال لي : أنا مدينٌ بالفضل لرجلين : الأول : ابن تيمية ، والثاني : الألباني . وقال لي : لقد تآزرنا في نشر الدعوة السلفية في سوريا ، وكان الشيخ يزورنا في حلب ، فدخلت على ابنتي " عائشة " وكانت صغيرة ، فقال لي الشيخ : لو كانت كبيرة لتزوجتها وكنت منى بمنزلة أبي بكر من محمد صلى الله عليه وسلم ، فانظر ما كان بيني وبينه من الآصرة .

وقرأ علينا أبو غزوان مقدمته لكتابه : ((التوصل الى حقيقة التوصل)) وقصَّ على لُلياء ذكرنا في ((طليعة الثمر الداني في الذب عن الألباني)) . وهو القسم الخاص بترجمة الشيخ الألباني حفظه الله تعالى . وقد أمضيت نحو شهر في هذه الرحلة ، ولما علم الشيخ بموعد سفرى دعانى

(1) ثم توفي رحمه الله يوم الأربعاء الرابع عشر جمادى الآخرة سنة (1412هـ) فاللهم ارض عنه وتقبله .

على الغداء عنده في يوم الرحيل ، وسألنى عن حال السلفيين في مصر ، وسألته عن الطريقة التي لنشرة الدعوة ، وكيف نواجه الخالف لنا ، وكان يوما حافلا أمضيته مع (عميد السلفيين) في العالم الإسلامى حفظه الله وبارك في عمره0

اعلم - أيها المسترشد - أننى قطعت هذا الكلام لأبى الدافع إلى تصنيفى كتاب (الثمر الداني في الذب عن الألباني) ، وهو ذبٌ على وجه الإنصاف ، وحمية محمودة لا تعد بحمد الله من حمية الجاهلية ، فإن حرب " إسقاط

مباح ، بل جلس بعضهم يبكي حول المنبر لتكدُّر خاطره صلى الله عليه وسلم مع أنه لو طلقت بنت أحدهم ۞ بكى ، فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف إذا امت زوجة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالزنى ؟!

وهذا يدل على ما كان الصحابة عليه من مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغاية القصوى .

فإذا نظرت إلى ما حدث في الإفك من رمى العفيفة المؤمنة أم المؤمنين ، حبيبة رسول ۞ صلى الله عليه وسلم واثر نسائه عنده بهذه الداهية الدهياء ، والفاقرة العظيمة ، علمت ما حل ۞ بـ . اتمع ۞ سلم كـله من البلاء العظيم والخطب الفادح ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كـرب له ، وطفق يستشير خاصته في أمر عائشة بعد أن استلبث الوحي فسأل أسامة بن زيد فأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة عائشة وقال : يا رسول ۞ ! أهلك ، وما نعلم إلا خيراً ، وأما على بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ! لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك . فدعا رسول ۞ صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : أى بريرة ! هل رأيت من شيء يربك ؟ قالت بريرة : لا والذى بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمراً

أغمضه عليها كـد من أـا جارية حديثة السن ، تنام عن عـج ۞ أهلها فتأتى الداجن تأكـله . فقام رسول ۞ صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال رسول ۞ صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل بلغنى أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل بيتي إلا معى . فقام سعد بن معاذ الأنصارى ، فقال : يا رسول ۞ ! أنا أعذرک منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک . فقام

سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فاحتملته الحمية ، فقال لسعد ابن معاذ: كذبت لعمر الله ! لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ! لنقتله ، فإنك منافق كاذب ، فشدوا الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفصهم حتى سكتوا وسكت ..» . وفي حديث ابن عمر : " وقام سعد بن معاذ فسل سيفه " .

قُلْتُ : فهذا التوتر الشديد الذى وقع بين الصحابة حتى كادوا أن يقتتلوا - مع ألم ضربوا أروع الأمثلة فى المحبة والوفاء والإثارة - يدل على حجم المحنة التى عانوها ، ولم يكن المقصود الأول فى هذه المحنة هو إتهام عائشة رضى الله عنها ، بقدر ما كان طعنا على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن تحت امرأة يزن بها ، ومع أن الزنى دون الشرك فى الإثم، إلا أن الزنا عار، ولذلك لا يعير أحد بأن أباه كافر، أو ابنه، فقد كان والد إبراهيم عليه السلام كافراً، ولم يعير به، وكان ابن نوح وامراته كافرين، ولم يعير بهما، وكانت امرأة لوط كافرة، ولم يعير بها ، بخلاف الزنى فإنه عار وشنار على أهله فى الدنيا قبل الآخرة . إن إسقاط (الرمز) أقل مؤنة على المنافقين من إحداث الشغب فى المجتمع كله ،

لأن إسقاط الرمز فيه إهدار لكل المبادئ التى يدعو إليها والمثل العليا التى يندندن حولها . وبعد هذا المعنى الذى جليته لك ، تستطيع أن تدرك ما ثار علماء المسلمين فى تركيا لما فرض كمال أتاتورك - قاتله الله - القبعة بدلا من العمامة ؟ وقد جرت محاكمات لعلماء المسلمين ، فكان مما حدث أن قاضى المحكمة قال لأحد العلماء : ما أنفهمكم يا علماء الدين ، لم هذه الثورة ؟ أمن أجل أننا استبدلنا القبعة بالعمامة ؟ وما الفرق بينهما ، فهذا قماش وهذا قماش . فقال له العالم : أيها القاضى ! إنك تحكم على وخلفك علم تركيا

، فهل تستطيع أن تستبدله بعلم إنجلترا وهذا قماش ، وهذا قماش ؟! فبهت
القاضى الظالم ، ولم يُحرر جواباً . ولو تأملت الطواف حول الكعبة ، والسعى
بـ الصفا والروة ورمى الإجمار ، فهذا كله إحياء للرمز ، لنأخذ منه العبرة . ومما
يجدر أن نلفت النظر اليه ، وهو يتعلق بقضية ((الرمز)) ، وفيه عبرة – أيما عبرة
– أن شيخنا الألبانى حفظه الله كان قد سئل منذ سنتين من بعض شباب
فلسطين ، قالوا له : إننا نلقى شدة وعنتا في عبادة الله مع وجود اليهود في
أرضنا ، حتى أن الواحد منا لا يكاد يصلى من الخوف على نفسه ، فما الحل ؟
قال الشيخ : اخرجوا من بلادكم إلى أماكن أخرى تقيمون فيها دين الله عز
وجل ، وأعدوا أنفسكم لترجعوا إلى بلادكم فاتحين فاستغل جماعة من أهل
الأهواء هذه الإجابة وأشاعوا بين العوام الطغام أن الشيخ يوجب على أهل
فلسطين من العرب المسلمين أن يخرجوا ويتركوا أرضهم لليهود ، وقامت الدنيا
ولم تقعد زماناً طويلاً ، وكاد الشيخ أن يطرد من " عمان " بسبب هذه الفتوى
التي حرفوها ، وتلقفت هذه الفتوى المحرفة إذاعة إسرائيل ، فقدم المذيع ترجمة
للشيخ الألبانى وذكر أنه أكبر محدث في العالم الإسلامى وقد أفتى بكذا وكذا ،
فسمع بعض إخواننا من كنت أظنه من أهل التحرى هذا الشاء والفتوى من
إذاعة إسرائيل ثم جاءنى وقال :

أنا عاتبٌ على الشيخ الألبانى كيف أفتى بكذا وكذا ؟ فقلت له : ومن أين
سمعت الفتوى ؟ قال : من إذاعة إسرائيل !

قلت : سبحان الله ! أيتهم الشيخ الثقة العدل عندك بنقل يهودى ؟ ما لكم ،
وأين ذهبت عقولكم ؟ وكان ينبغي ألا تتوقف في تكذيب اليهودى ، ثم تنظر
الى حقيقة الأمر ، هذا هو الأصل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق

بنياً فتبينوا ﴿ فكيف بالكافر المحارب ، الذى يستغل مثل هذا التحريف الذى
تولى كبره نفرٌ ممن ينتسبون إلى بعض الأحزاب الإسلامية ، ليسقط ((الرمز)) ؟

وماذا يكون لو أسقطنا الشيخ الألبانى ، والشيخ ابن باز ومن على شاكلتهما
من العلماء العالم □ ، هل يريدون أن تكون أمثنا ثلثة من الغلمان بلا رؤوس ؟
ويرحم الله أبا حنيفة إذ مر على جماعة يتفقهون ، فقال : ألهم رأس ؟ قالوا : لا
. قال : إذن لا يفلحون أبدا .

أخرجه الخطيب فى " الفقيه والمتفقه " (790)

ولله درُّ القاضى عبد الوهاب بن على المالكى رحمه الله إذ يقول :

متى يصلُ العطاشُ الى ارتواءٍ	إذا استقَّتِ البحارُ من الرِّكَايا
ومن يُشْنى الأصاغرُ عن مُرادٍ	إذا جلس الأكابرُ فى الزَّوايا
وإنَّ ترفعَ الوضعاءَ يوماً	على الرُّفَعاءِ من إحدى الرِّزايا
إذا استوتِ الأسافلُ والأعالى	فقد طابت مُنادمةُ المنايا

وأخرج قاسم بنُ أصبغُ فى " مصنفه " ⁽¹⁾ بسننٍ صحيح - كما قال الحافظ فى
" الفتح " (301 / 1 - 302) عن عمر بن الخطاب قال : " فسادُ الدين
إذا جاء العلمُ من قبل الصغير ، استعصى عليه الكبيرُ ، وصلاحُ الناس إذا جاء
العلم من قِبَل الكبير ، تابعه عليه الصغير " .

وأخرج ابن عبد البر فى " جامع العلم " (1 / 159) عن ابن مسعود قال :
" إنكم لن تزالوا بخيرٍ ما دام العلم فى كباركم ، فإذا كان العلم فى صغاركم سَفَّه

الصغير الكبير " ، وجاء هذا المعنى عن غير واحد من الصحابة . وقد حدث ما توقعه هؤلاء الصحابة الكرام ، وهالك بيان ذلك :

فلقد ظلَّ علم الحديث زماناً طويلاً علماً مرغوباً عنه لصعوبته ، ولأنه يحتاج الى ملكية لا تستقيم لصاحبها إلا بالدربة وإدمان النظر مع إمكان الوصول إلى الأسانيد التي هي روح هذا العلم ، ومن المعلوم أن رأس مال المحدث هو الإسناد ، وليس له ديوان جامع حافظ ، بل هو مفرق في عشرات الألوف من الصحاح ، والمسانيد ، والمعاجم ، والمشيخات ، وكتب التواريخ ، والأجزاء الحديثية وغير ذلك ، ولو قدرنا أن رجلاً ملك هذا العدد من الكتب فلا بد من تقريبه وفهرسته على اطراف الاحاديث حتى يتسنى له الانتفاع بها ، وهذا جهد لي جهد ، قد يستغرق عمره كله أو أكثره ، فمتى يحقق ويخرج رجلاً ويوفق بين الأقوال المتعارضة ؟ ، ثم يسأل الدارس نفسه سؤالاً : وماذا بعد هذا ، فلا وظيفة ولا كسب ، ولذلك أقبل الناس على دراسة الفقه ، لأن دارسه يحصل وظيفة ، فيعمل مفتياً أو واعظاً أو مدرساً ، أو إمام مسجد ، ونحو ذلك .

(1) وأخرجه ابن عبد البر في "المع" (1055 ، 1056) ، والخطيب في "الفقيه" (782)

وأما دارس الحديث فلا ينتظره شيء . وتستطيع أن تدرك هذا الأمر إذا نظرت إلى غالب المدارس التي بُنيت في بلاد المسلمين قديماً مثل مدرسة نظام الملك في بغداد ، فتجد عنايتهم كانت بعلم الكلام والفقه وأصوله . وأنت ترى هذا الإهمال لعلم الحديث واضحاً جلياً في مناهج الأزهر ، وهو امتداد للمدارس القديمة التي أشرت إليها ، فلم نر في عصرنا ولا قبله رجلاً أزهرياً نبغ في علوم

❑ حديث إلا الشيخ أبا الأشبال أحمد شاكر رحمه الله ، ولم يكن نبوغه بسبب دراسته في الأزهر ، بل بسبب توجهه الشخصي إلى هذا العلم .

وفي السنوات العشر الأخيرة حدثت نهضة حديثية ، من أهم سماتها طبع مئات الكتب المسندة والأجزاء الحديثية ، بحيث يحق لي أن أزعم أنه طبع في هذه السنوات العشر ما لم يطبع مثله في مائة عامٍ مهمت ، وصحب ذلك نهضة أخرى في تقريب هذه الكتب وهي عمل موسوعات لأطراف الأحاديث ، فصار هذا العلم قريب المنال ، سهل المأخذ لأي طالب حتى لو كان بليداً غبيّ الذهن ، أبعد الخلق من هذا العلم !

وكان الأمر قبل ثلاثين سنة مختلفاً ، فام الإختلاف عنه اليوم ، وخذ مثلاً : فمسند الإمام أحمد رحمه الله مطبوع في ستة أجزاء كبار ، وبخط دقيق ، وهو مرتبٌ على مسانيد الصحابة وليس على الأبواب ، فلو أراد أفحل محقق في الدنيا – ولا يعتمد على حفظه – أن يتأكد من عزو حديث ما إلى " المسند " فإن هذا يكلفه مراجعة مسند الصحابيِّ راوي الحديث وقد يكون من أكثرين مثل أبي هريرة وابن عمر وعائشة وغيرهم ، فكم من الوقت ينفقه ليتأكد من عزو حديث واحدٍ إلى كتاب واحدٍ ؟ وقد لا يظفرُ بطليحة بعد هذا إهود ويكون الإمام أدرج الحديث في مسند صحابي آخر لغرضٍ طرأ

له ، مثل اتحاد المتن ، أو بيان الاختلاف في سنده (1) أو نحو ذلك .

فلو أن هذا الحديث رواه أئمة آخرون ، ويريد المحدث أن ينظر في ألفاظه ، أو متابعات الرواة فكم من الوقت يحتاجه ليتم له ما يريد في حديث واحد ؟!

ولذلك فرح المشتغلون بالحديث أيما فرح لما طُبع كتاب " مفتاح كنوز السنة " فكتب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله مقدمة له ، أذاع فيها اغتباطه بطبعه ،

وكان مما قاله (ص 8) : " ولو وُجد بـ [يدى] مثل هذا المفتاح لسائر كتب [حديث] ، لوفر على أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة " اهـ .
 وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في مقدمته لهذا الكتاب (ص 23 - 24) بعد أن ذكر بعض صعوبات الكشف في الكتب عن
 الأحاديث قل : " وما لنا نضرب [إلى] ما - يعني : بمسند أحمد وطبقات

(1) وانظر " مسند أحمد " (1 / 259 - زوائد) (3 / 12) (4 / 167) (6 / 203)
 (وفيه نماذج كثيرة . ووقع هذا كثيرا في " مسند أبي يعلى " وانظر الأرقام - 76 ، 623 ، 64 ،
 ، 1530 ، 1531 ، 1607 ، 1645 ، 1682 ، 2042 ، 2067 ، 2068 ،
 2069 ، 2112 ، 2152 ، 2311 ، 2498 ، 506 ، 2507 ، 2628 ، 2629 ،
 ، 2632 ، 2633 ، 2636 ، 2637 ، 2638 ، 2639 ، 2640 ، 2641 ، 2642 ،
 ، 2643 ، 2646 ، (مرسـل) ، 2653 ، 2706 ، 2710 ، 2717 ، 2731 ،
 ، 2747 ، 2748 ، 2957 ، 3238 ، 3237 ، 3235 ، 3225 ، 3626 ، 2645 ، 3616 ، 3480 ، 3389 ،
 ، 4464 ، 4181 ، 4066 ، 4007 ، 3985 ، 4762 ، 4742 ، 4720 ، 4710 ، 4692 ، 4567 ،
 ، 4907 ، 4818 ، 4767 ، 4762 ، 4742 ، 4720 ، 4710 ، 4692 ، 4567 ،
 ، 4915 ، 5055 ، 5109 ، 5395 ، 5560 / 2619 ، 2621 ، 2622 ، 2623 ،
 ، 2624 ، 2625 ، 2626 ، 2627 .

ابن سعد - والصعوبات فيها معروفة ؟ و أماننا الكتب الأخرى المرتبة على
 الأبواب ، كالكتب الستة وغيرها ، فكثيراً ما يعجز الممارس لها عن الوصول إلى
 حديث بعينه يبغيه فيها . وها أنا اشتغل بعلوم الحديث منذ خمس وعشرون
 سنة ، وقد تلقيت منها سماعاً و قراءةً عن أعلام وكبار من الشيوخ ، وفي
 مقدمتهم والدى الأستاذ الجليل السيد محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر سابقا
 حفظه [] ، والحافظ الكبير العلامة السيد عبد الله بن إدريس السنوسي ، عالم

مراكش ، وشيخ شيوخها رحمه الله ، ومع ذلك فإن طالما أعياني تطلب بعض الأحاديث في مظانها ، و اغرب من هذا اني لبثت نحو خمس سنين و انا أطلب حديثا معينا في " سنن الترمذى " ، وهو كتاب تلقيته كله عن والدي سماعاً ، ولى به شبه إختصاصٍ ، و كبير عناية ، فهذه الكتب كانت بين يدي من لم تطلُ مدارسُها كالصناديق المغلقة ، لا يعلم من أين يصل إلى ما فيها . . .)) انتهى

ولا يفوتني أن أقول إن كتاب " مفتاح كنوز السنة " يعد الآن من الفهارس (تواضعة) بالنسبة لما ظهر من الفهارس ، فكيف بعد استخدام الحاسب الآلى " الكمبيوتر " فى هذا الأمر ؟!

وقد أدرك شيخنا الألباني حفظه الله هذا الإعواز ، فهداه الله عز وجل إلى عمل معجم لأطراف الأحاديث من المذهب الخطوة والطبوعة ، ليدى مية عالية وصبر نافذ ، ولذلك كان له من الخطوة والشهرة في هذا العلم ما لم يكن لأبى الأشبال و لا للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني ، وهما من نوابغ علماء الحديث فى هذا العصر .

فقرَّب الشيخ الألباني السُّنة بكثرة تخاريجهِ ، والكلام على الأسانيد و مناقشة العلماء فى عللها ، وهو صاحب مدرسة فى التخريج جمع فيها بين القديم

والحديث . ولا أطمحُ دله به . بل هذا العلم إلا وللشيخ عليه فضلٌ دقاً أو جلّ ، حتى أن حاسديه يستفيدون من علمه و يخطون عليه ، و أغلب تخاريجهم مسروقة من كتبه ، ويعلم هذه الحقيقة من له ممارسه لكتب الشيخ وقد ظلَّ الشيخ مُعظماً معافى حتى انتشر هذا العلم ، وكثرت فهارس الكتب ، واستطاع أصغر الطلبة أن يعزوا الحديث - بدلالة الفهرس - إلى كتب لم يطلع عليها كثير من

الحفاظ القدامى فضلاً عن المحدثين و بان لهذه الظاهرة الإيجابية - وهى الاقبال على دراسة الحديث - وجهٌ سلبيٌ بغضٌ .

قُلْتُ قبل ذلك : إنَّ رأسَ مال المحدث هو الإسناد ، وهو مبعثرٌ في عشرات الألوف من الكتب والأجزاء ، ومن الاستحِيل على رجلٍ واحدٍ أن يستحضر كلَّ ما في هذه الكتب حال تحقيقه للحديث ، فربما ضَعُف الحديث و لم يقف له علة شاهد ، أو يجزم بتفرُّد أحد رواته به ، ويكون له متابعون ، أو يغفلُ فيُبرم في موضعٍ ما ينقضه في موضع آخر ، لبعْد ما بـ الوضع في التدوين ، أو يتغيَّرُ اجتهاده ، وهكذا يقع لكبار الحفاظ والأئمة الفضلاء الذين هم معدنُ العلم ، فلما انتشرت الفهارس العلمية ، وتمكن صغار الطلبة من الوصول إلى مواضع الحديث فيها ، كثر تعقبهم للعلماء ، مع إساءة الادب معهم ، وانهمامهم بالغفلة والتقصير والجهل والتجاهل ، إلى آخر هذه الألفاظ التي كثرت في السنوات العشر الأخيرة .

وقد ذكرني انتشار الفهارس و مضرَّتها بكلمةٍ قالها التابعيُّ الجليل محمد بن سيرين رحمه الله لما انتشرت كتابه فقال : " وددت أن الأيدي قطعت في الكتابة " قيل له : لم ؟ قال : لانها ضيعت الحفظ ! وسلبت أجدُّ فائدة الفهارس ، و لما سهَّلت على أهل العلم مهمتهم ، و أشاعت بـ العامة الاهتمام بالسنة ، والبحث عن صحيحها و سقيمها ولكن : « لكل شيء إذا

ما تم نقصانٌ » .

فظالمُ التعالمُ هي التي شوهت جمالَ هذه النهضة ، وأتاحت هذه الفهارسُ لكل متنفخٍ ان يتناول على الشوامخ ، وكم لهذا التعالم من مضارٍّ ، من اهوائها - مع فداحته - أن يختلط العالم بشبيهه العالم ، و لا يميز الناس بينهما ، فيستفتون شبيه العالم فيقع الخبط والخلط و لا يدل على صحة ما أقول ما أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في قصة الذى قتل مائة نفس . وفي

الحديث أن القاتل سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلوه على راهب فسأله ، فقال : إني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي توبة ؟ قال : نعم ، ومن يحجب عنك باب التوبة ، اخرج الى أرض كذا وكذا .. إلى آخر الحديث المشهور ، فما دلت الدنيا على القاتل على الراهب الأولى إلا لأما تظنه عالما لتشابه أزيائهم ووجوههم ، وهكذا كل من لبس جبة وعمامة ، وأرخى بياضه فهو عند العوام عالم .

ويذكرني هذا التشابه بين العالم وشبيهه مع البون الشاسع بينهما في الجوهر بقصة ذكرها أبو الفرج في " الأغاني " (8 / 211) فقد ذكر أن الشاعر ثابت بن جابر ، المعروف بـ « تأبط شرا » لقي ذات مرة رجلا من " ثقيف " يقال له : " أبو وهب " ، وكان رجلا أهوج ، وعليه حُلَّةٌ جيدةٌ ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما ترى دميم وضئيل ؟! قال : باسمي !! إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شرا ، فينخلع قلبه ، حتى أنال منه ما أردت ! فقال له الثقفى : أبهذا فقط ؟! قال : قط ! قال : فهل لك أن تبيعني اسمك ؟ قال : نعم ، فبم تبتاعه ؟ قال : بهذه الحُلَّة ،

وبكنتي . قال له : أفعل . ففعلا ، وقال تأبط شرا : لك اسمي ولى اسمك ، وأخذ حُلَّته ، وأعطاه طمريه ، ثم انصرف . فقال تأبط شرا يخاطب زوجته هذا الثقفى :

ألا هل أتى الحسناء أن حليها تأبط شرا واكتنيتُ أبا وهب
قَهَبُهُ تَسْمَى اسْمِي وَسَمَانِي اسْمَهُ فأين له صبرى على مُعْظَمِ
الْخَمَلِ

وَأَيْنَ لَهُ بِأَسْ كِبَاسِي وَسَوَّرَتِي وَأَيْنَ لَهُ فِي كُلِّ فَادِحَةٍ قَلْبِي

وقد توجع بعض الأذكياء من كثرة أشباه العلماء في ديار المسلمين ، وأطلق عليهم اسم « ادينات » بدل « اددين » ، فقال له سامعُه : وما ادينات ؟ ما هو بجمع مذكر سالم ، ولا جمع مؤنث سالم ؟ فقال له : هذا جمع «خنث » سالم !! فأقسم له سامعه أن اللغة العربية في أمسِّ الحاجة الى هذا الجمع ، خصوصا في هذه الأيام !

فإذا كان الخطأ ملازما للبشر ؛ لا يعرى عنه مخلوق مهما اجتهد واحتاط لنفسه في تحرى الحق ، فليس من الإنصاف أن يعير المرء به إذا وقع منه ، لا سيما إن كان أهلا للنظر ، ولو أراد أحد أن لا يخطيء في شيء من العلم ، فينبغي له أن يوت وعلمه فو صدره ، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل إلا بتفضل رب العالمين على عبده .

والخطأ في الفروع أكثر من أن ينضبط ، ولا يسلم العالم منه ، فمن أخطأ قليلا أصاب كثيرا فهو العالمُ ُ ُ ، ومن غلب خطؤه صوابه فهو جاهلٌ وهذا ميزا نٌ عادلٌ ، ويرحمُ ابن القيم إذ قال في (إعلام الموقعين) (3 / 283) : ((ومن له علم بالشرع والواقع ، يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالحٌ ، وآثارٌ حسنةٌ ، وهومن الإسلام وأهله ُ كان ، قد تكون

منه الهفوة والزلة ، هو فيها معذورٌ بل مأجورٌ لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين)) . اهـ .

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة ((محمد بن نصر المروزي)) من ((سير النبلاء))
 (40 / 14) : " ولو أنا كَلَمْنَا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل
 خطأ مغفوراً له ، قمنا عليه وبدلنا ، وهجرناه ، لما سلم معنا لا ابن نصر ، ولا
 ابن مندة ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم
 الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة " ا هـ .

وقد وقفت على كلام جميل في ها المعنى لابن حبان رحمه الله .

فقال في ((كتاب الثقات)) (7 / 97 - 98) في ترجمة : ((عبد الملك ابن
 أبي سليمان العزمي)) قال : " رَأَيْنا أخطأ .. وكان عبد الملك من خيار أهل
 الكوفة وحفاظهم ، والغالبُ على من يحفظ ويحدثُ من حفظه أن يهتم ، وليس
 من الإصاف ترك حديث شيخ ثبت ، صحلت عدالته بأوهام يهتم في روايته ، ولو
 سلكنا هذا سلك للزنا تركُ حديث الزهري ، وابن جريج والثوري وشعبة ،
 لأم أهل حفظٍ وإتقانٍ ، وكانوا يحدثون من حفظهم ، ولم يكونوا معصومين
 حتى لا يهتموا في الروايات ، بل الاحتياطُ والأولى في مثل هذا قبول ما يروى
 الثبت من الروايات ، وترك ما صح أنه وهم فيها ، ما لم يفحش ذلك منه حتى
 يغلب على صوابه ، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذ " ا هـ .

• قُلْتُ : وشيخنا أبو عبد الرحمن رجل من بني آدم ، يصيب كما يصيبون

ويخطيء كما يخطئون ، ولم يدع لنفسه عصمة من مقارفة الزلل ، ولا أماناً من

مواقعة الخطأ ، وكتبه شاهدة على ذلك ، لا سيما ما جدد طبعه في هذه

الأيام ، فقد تراجع عن تصحيح أحاديث بعدما استبان له عللها ، وتراجع

عن تضعيف أحاديث ، بعد أن وقع لها على طرق أو شواهد ، والكلام في

التصحيح والتضعيف أمرٌ اجتهدى ، فلا ينبغي أن يشغب على الخطيء فيه .

بعد أهليته — إن ثبت أن أصوله التي يعتمد عليها منضبطة .

وسامح □ القائل : إذا كنت خاملًا ، فتعلق بعظيم ! فقد تعلق كثير من الخاملين الباحثين عن الشهرة بكتب الشيخ الألباني ، وفتشوا فيها رجاء الوقوع على أغلاط له ، وظفروا ببعضها ، وكانوا محقين في تعقبها ، لكنهم أضافوا إليها أشياء أخرى عدوها غلطًا ووهما من الشيخ ، وهم الغالطون عليه ، إما لسوء فهمهم وتسرعهم في فهم كلام الشيخ ، وإما لأن الشيخ أجمل الكلام في هذا الموضوع ، فوقع الإشكال وهذا أغلب ما تعقبوا الشيخ به . فذكرني صنيعهم هذا □ أخرجه الشيخان عن عائشة رضی □ عنها قالت : سأل أناس رسول □ صلى □ عليه وسلم عن الكهان ؟ فقال لهم رسول الله صلى □ عليه وسلم : " ليسوا بشيء " قالوا : يا رسول الله ! فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا ؟ قال : " تلك الكلمة من الحق ، يخطفها الجنى " ، فيقرها في أذن وليه قرَّ الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة " ا هـ .

وقد رأيت بعض الناس تدنى في خصومته للشيخ ، وزعم أنه وقع له على مئات الأغلاط التي تصل إلى ألوف ، ونشر في ذلك أكثر من كتاب ليس فيها ما □ دح إلا جودة طبعها وحسن حرفها ، ودأب على أن يكتب نسبه في أول الكتاب ، وأنه شريف هاشمي ، وقصده معروف لأن الشيخ الألباني أعجمي ، فهو يفخر عليه بنسبه ، وهذه نعة جاهلية أهدرها الإسلام ، مع أننا في زمان قل فيه العناية بالأنساب ، ويستطيع كثير من الأدعياء أن ينسب نفسه إلى من يشاء بلا رقيب ، ومع هذا ، فإن أبا لهب كان أصبح منه نسا

وأعرق ، وحاله معروفة .

ثم بعد كتابة نسبه يكتب هذا البيت :

خلق □ للمعالي أناسًا وأناسًا لقصعةٍ وثريد

وقصدهُ معروف أيضا ، وهو أنه من أصحاب المعالي ، وأن الشيخ لا همَّ له إلا الأكل ! وهذا كذبٌ وزورٌ ، ولو أردنا أن نعدد رجالَ المعالي لكان الشيخ الالباني في طليعتهم ، وهو معروفٌ بجده واجتهاده في طلب العلم ، وأذكر هنا مثالا واحدا شافهني به الشيخ حفظه الله ، وَزَّيَّرَهُ في مقدمته لـ "المنتخب من مخطوطات" إديث " يدلّك على علو كعبه وهمته العالية. يقول الشيخ حفظه الله :

((ولم يكن ليخطر في بالي ، وضع مثل هذا الفهرس ، لأنه ليس من اختصاصي ، وليس عندي متسع من الوقت ليساعدني عليه ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئا هيا أسبابه ن فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصري ، منذ أكثر من اثني عشر عاما ، فنصحني الطبيب المختص بالراحة وترك القراءة والكتابة والعمل في المهنة (تصليح الساعات) مقدار ستة أشهر . فعملت بنصيحته أول الأمر ، فتركت ذلك كله نحو أسبوعين ، ثم أخذت نفسي تراودني ، وتزين لي أن أعمل شيئا في هذه لعطلة المملة ، عملا لا ينافي بزعمي نصيحته ، فتذكرت رسالة مخطوطة في المكتبة ، اسمها " ذم الملاحى " للحافظ ابن أبي الدنيا ، لم تطبع فيما أعلم يومئذ ، فقلت : ما المانع من أن أكلف من ينسخها لي ؟ وحتى يتم نسخها ، ويأتى وقت مقابلتها بالأصل ، يكون قد مضى زمن لا بأس به من الراحة ، فيمكنني يومئذ مقابلتها ، وهى لا تستدعى جهدا ينافي الوضع الصحى الذى أنا فيه ،

ثم أحققها بعد ذلك على مهل ، وأخرج أحاديثها ، ثم نطبعها ، وكل ذلك على فترات لكى لا أشق على نفسى ! فلما وصل الناسخ إلى منتصف الرسالة ، أبلغنى أن فيها نقصاً ، فأمرته بأن يتابع نسخها حتى ينتهى منها ، ثم قابلتها معه على الأصل ، فتأكدت من النقص الذى أشار اليه ، وأقدره بأربع صفحات في ورقة واحدة في منتصف الكراس ، فأخذت أفكر فيها ، وكيف يمكننى العثور عليها

؟ والرسالة محفوظة في مجلد من المجلدات الموضوعة في المكتبة تحت عنوان (مجاميع) ، وفي كل مجلد منها على الغالب عديد من الرسائل والكتب ، مختلفة الخطوط والمواضيع ، والورق لونا وقياسا ، فقلت في نفسى ، لعل الورقة الضائعة قد خالها لبد سهوا في مجلد اخر من هذه المجلدات ! فرايتنى مندفعاً بكل رغبة ونشاط باحثاً عنها فيها ، على التسلسل . ونسيت أو تناسيت نفسى ، والوضع الصحى الذى أنا فيه ! فإذا ما تذكرته ، لم أعدم ما أتعلل به ، من مثل القول بأن هذا البحث لا ينافيه لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضنية !

وما كدت اجاوز بعض المجلدات ، حتى اخذ يسترعى انتباهى عناوين بعض الرسائل والمؤلفات ، دث مشهورين ، وحفاظ معروف ، فأقف عندها ، باحثاً لها ، دارساً إياها ، فأتنى لو انها تنسخ وتحقق ، تم تطبع ، ولكنى كنت أجدها في غالب الأحيان ناقصة الأطراف والأجزاء ، فأجد الثانى دون الأول مثلاً ، فلم أندفع لتسجيلها عندى ، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة ، ولكن عبثاً حتى انتهت مجلدات (المجاميع) البالغ عددها (152) مجلداً ، بيد أنى وجدتنى في أثناء المتابعة أخذت أسجل في مسودتى عناوين بعض الكتب التى راقتنى ، وشجعنى على ذلك ، أنى عثرت في أثناء البحث فيها على بعض النواقص التى كانت قبل من الصوارف عن التسجيل .

ولما لم اعثر على الورقة في المجلدات المذكورة ، قلت في نفسى : لعلها خيبت خطأ في مجلد من مجلدات كتب الحديث ، والمسجلة في المكتبة تحت عنوان (حديث) ، فأخذت أقلبها مجلداً مجلداً ، حتى انتهيت منها دون أن أقف عليها ! ولكنى سجلت أيضاً عندى ما شاء الله تعالى من المؤلفات والرسائل . وهكذا لم أزل أعلل النفس وأمنيتها بالحصول على الورقة ، فأنقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من علم إلى آخر ؛ حتى

أتيت على جميع المخطوطات المحفوظة بالمكتبة ، والبالغ عددها نحو عشرة
الاف مخطوط ، دون ان احظى بها !

ولكنى لم أياس بعد ، فهناك ما يعرف بـ (الدست) ، وهو عبارة عن
مكدسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التى لا يعرف أصلها ، فأخذت فى
البحث فيها بدقة وعناية ، ولكن دون جدوى .

وحينئذ يئست من الورقة ، ولكنى نظرت فوجدت أن الله تبارك وتعالى ، قد فتح
لى - من ورائها - باباً عظيماً من العلم ، طالما كنت غافلاً عنه كغيرى ، وهو أن
فى المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل فى مختلف العلوم النافعة التى
خلفها لنا أجدادنا رحمهم الله تعالى ، وفيها من نواذر المخطوطات التى قد لا
توجد فى غيرها من لمكتبات العالمية ، مما لم يطبع بعد .

فلما تبين لى ذلك ، واستحكم فى قلبى ، استأنفت دراسة مخطوطات المكتبة كلها
من أولها إلى آخرها ، للمرة الثانية ، على ضوء تجربتى السابقة التى سجلت
فيها ما انتقيت فقط من الكتب ، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم
الحديث منها مما يفيدنى فى تخصصى ؛ لا أترك شاردة ولا واردة ، إلا سجلته ،
حتى ولو كانت ورقة واحدة ، من كتاب أو جزء مجهول الهوية ! وكأن الله تبارك
وتعالى كان يعدنى بذلك كله للمرحلة الثالثة والأخيرة ،

وهى دراسة هذه الكتب ، دراسة دقيقة ، واستخراج ما فيها من الحديث النبوى
مع أسانيده وطرقه ، وغير ذلك من الفوائد . فإنى كنت فى أثناء المرحلة الثانية
، التقطت نتفاً من هذه الفوائد لى أعثر عليها عفواً ، فما كدت أنتهى منها حتى
تشبعت بضرورة دراستها كتاباً كتاباً ، وجزءاً جزءاً . ولذلك فقد شمرت عن ساعد
اليد ، واستأنفت الدراسة للمرة الثالثة ، لا أرى صحيفة إلا تصفحتها ، ولا
ورقة شاردة إلا قرأها ، واستخرجت منها ما أعثر عليه من فائدة علمية ، وحديث

نبوى شريف ، فتجمع عندى بها نحو اربعين مجلدا ، فى كل مجلد نحو أربعمائة ورقة ، فى كل ورقة حديث واحد ، معزواً إلى جميع المصادر التى وجدتها فيها ، مع أسانيده وطرقه ، ورتبت الأحاديث فيها على حروف العجم ، ومن المجلدات اغذى كل مؤلفاتى ومشاريعى العلمية ، الامر الذى يساعدنى على التحقيق العلمى ، الذى لا ييسر لأكثر أهل العلم ، لا سيما فى هذا الزمان الذى قنعوا فيه بالرجوع إلى بعض المختصرات فى علم الحديث وغيره من المطبوعات ! فهذه الثروة الحديثية الضخمة التى توفرت عندى ؛ ما كنت لأحصل عليها ، لو لم ييسر الله لى هذه الدراسة بحثا عن الورقة الضائعة ! فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وإن من تراثها المباركة اننى اكتشفت فى اثنائها بعض المؤلفات والاجزاء والكراريس القيمة التى لم يكن من المعلوم سابقاً وجودها فى المكتبة أصلاً ، أو كاملة ، لذهاب الورقة الاولى وغيرها منها التى بها يمكن عادة الكشف عن هوية المؤلف والمؤلف ، أو لإهمال الناسخ كتب ذلك على نسخته من الكتاب ، أو غير ذلك من الأسباب التى يعرفها أهل الاختصاص فى دراسة المخطوطات ، ولذلك خفيت على (بروكلمن) وغيره من المفهرسين ، فلم يرد لها ذكر فى فهارسهم إطلاقاً ، ولا بأس من أن أذكر هنا بعض المهمات منها مما يحضرنى الآن :

- 1- ((المستخرج على الصحيحين)) للحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني المنجى .
- 2- ((مجمع البحرين فى زوائد المعجمين)) للحافظ نور الدين الهيثمى .
- 3- ((الحافظ)) لأبى الفرج ابن الجوزى .
- 4- ((الكلم الطيب)) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

- 5- ((إثبات صفة العلو لله تعالى)) لابن قدامة المقدسى .
- 6- ((تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج)) لابن القن .
- 7- ((السنن الكبرى)) للنسائي .
- 8- ((فضائل مكة)) للجندى .

وأما الأجزاء والكراريس التى اكتشفتها ، وبعضها مما أتممت به بعض الكتب التى كانت ناقصة ، أو مجهولة الهوية فشئى كثير والحمد لله ، وإليك بعضها على سبيل مثال :

- 1- ((أحكام النساء)) لابن القوزى .
- 2- ((الضعفاء)) للذهبي .
- 3- ((مسند الشهاب)) للقضاعى .
- 4- ((الصلاة)) لعبد الغنى المقدسى .
- 5- ((تاريخ أصبهان)) لابن مندة .
- 6- ((الكلام على ختان النبى صلى الله عليه وسلم)) لابن العديم .
- 7- ((جزء بعل النبى صلى الله عليه وسلم)) لأبى اليمن ابن عساكر .
- 8- ((غازى)) لابن اسحاق .
- 9- ((صحيح ابن حبان)) .

هذا ، وقد كان هذا الفهرس نتيجة جهد فردى ، واندفاع ذاتى ، من شخص غير موظف فى المكتبة ، ولا مكلف منها ، ولذلك لم يكن ليتيسر له ما يلزمه من التسهيلات راجعة لخطوطات ودراساتها والجدات من أهولات من الأجزاء فيها ، مثلما يتيسر عادة لمن كان موظفاً فى المكتبة أو مكلفاً من إدارتها ، فكان من الطبيعى أن ينالنى بعض المشقة فى سبيل هذه الدراسة ، فقد أتى

على أيام كنت أضطر فيها إلى ان أنصب السَّلم ، فأرقى عليه ، لأستطيع تناول الكتب المرصوفة على الرفوف العالية ، فأقوم عليه ساعات في دراستها في موضعها دراسة سريعة ، فإذا اخترت شيئاً منها لدراستها دراسة فحص وتدقيق طلبت من الموظف المختص ان ينزلها ويأتى بها إلى المنضدة ، بعد تقديمي قائمة بأسمائها وأرقامها وتوقيعها ! ولذلك فإننى أظن أنه فاتنى الاطلاع على عدد غير قليل من الكتب والرسائل والأجزاء التى تتعلق بهذا الفهرس ، فعسى ان تبارك وتعالى أن يسخر من يتابع البحث والتفتيش بدقة ويسر ، فيسجل ما قد فاتنى ، وما كنت تعمدت تركه مما ليس من منهجى كما سبقت الإشارة إليه ، لا سيما وقد ورد إلى المكتبة بعد عملى لهذا الفهرس مجموعات أخرى من المخطوطات ، فيفهرس ذلك كله ، ويكون كالذيل لهذا ، وبذلك يتوفر للمكتبة العامة فهرس مفصل يحوى كل ما فيها من كتب الحديث الشريف .

وقد يرى القارئ في فهرسى هذا كثيرا من الكتب التى ليس لها علاقة عادة بعلم الحديث ، مثل كتب التاريخ والسيرة، والقراءات والتفسير وغيرها،

فحقها أن تسجل في فهارس خاصة بها ، فعذرى فى تسجيلها فيه اننى كنت أحتاج الرجوع إليها كثيرا ، لا سيما وأكثرها شديد الصلة بعلم الحديث الذى هو اختصاصى ، فسجلتها فيه تيسيراً لعملى ، وتوفيراً لوقتى)) اهـ .

● قلت : فهذا شئ من جد الشيوخ وتحصيله ، أفير مى صاحب هذه المهمة بأن حياته : " قصعة وثريد " ؟!

إذا محاسنى اللاتى أُلِّم بها عُمّت عيوباً ، فقل لى كيف أعتذر ؟

!

هذا ، وقد طُبعت كتبٌ في الرد على الشيخ الألباني ، بعضها يتعلّق بالحدّيث ، وبعضها يتعلّق بالفقه ، ويصحب النوء تشغيبٌ كثيرٌ ، فياليتهم قصروا كلامهم على اناب العلمى حسب ، اذن لظهر إنصافهم .

ولكن المنى وازعجنى ان بعض هذه الكتب تجاوز اصحابها سبيل اهل العلم في الرد بالتى هى أحسن ، وكنت أحسُّ وأنا أقرؤها بحفيف أفعى تدبُّ خلف السطور ، وكلما انحدرتُ مع أسطر الكتاب علا الصوت وظهر الضباح ، حتى إذا انتهيت من قراءة السطور فإذا :

كثييشُ أفعى أجمعتُ لِعَضِّ
فهى تَحْكُ بَعْضَهَا بَعْضُ

وهذا كله جزء من الحرب التى أشرت إليها قبل ، وسميتها : ((حرب إسقاط الرموز)) .

فلما رأيتُ الأمر كذلك عزمْتُ على تصنيف كتاب يردّ الحق إلى نصابه ، أدفع به الظلم الواقع على الشيخ الجليل ، واضعاً نصب عيني حديث النبي صلى الله عليه وسلم :
" انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل كيف أنصره ظالماً ؟ قال : تحجزه عن

الظلم ، فإن ذلك نصره " .

أخرجه البخارى والترمذى وأحمد من حديث أنس رضى الله عنه وسميت هذا الكتاب : ((الثمر الدانى فالذب عن الألباني)) .

وقسمته إلى أربعة أقسام :

الأول : طليعة الثمر الدانى ، وهو القسم الخاص بترجمة الشيخ ، وكنت تلقيتها منه سماعاً ، وقد تم هذا القسم بحمد الله تعالى .

الثانى : فهو محاكمة بين الشيخ وخصومه فى علوم الحديث أصولاً وتخریجاً

الثالث : فهو محاكمة بين الشيخ وخصومه في مسائل الفقه وأصوله .

الرابع : فهو ما وقع من الأغلاط في كتب الشيخ في التخريج والتعليل والتصحيح وما وقع لي مما لم يقف عليه الشيخ ، ولم أستوعب لأن هذا ما وقع لي أثناء استفادتي من كتب الشيخ ، فكنت أقف على الشيء بعد الشيء وكنت أراجع نفسي لعلمي بدقة الشيخ في عمله ، فكنت اتهم نفسي ، وأعيد المراجعة ، حتى إذا تأكدت أنه غلط دونته ، وسأطلع الشيخ حفظه الله على هذا الجزء قبل طبعه ، ليرى رأيه فيه .

وكان من أمرى أنني وضعت مقدمة لهذا الجزء الرابع ، ذكرت فيها ما وقع لي من أوهام كبار العلماء في كتبهم ، وكان قصدي من هذا أن أقول : لم ينج أحد من الوهم مهما كان كبيراً فذا نسيج وحده ، فيأيتها الطاعن على الشيخ الألباني لأنه أخطأ في مسائل ، دونك هؤلاء الفحول ، قد وقع منهم ما ترى ، فيلزمك الطعن فيهم ، فإن اعتذرت عنهم بجوابٍ ، فجوابنا في الاعتذار عن الشيخ هو □ جوابك .

وما كان هدفي قط أن أجمع زلات العلماء - حاشا □ - وما تعمدت

ذلك قطاً ، بل هي أوهام جمعتها في أثناء بحثي وكنت ادوؤها عندي لأستفيدها إن جاءت مناسبة لها ، ولم يخطر ببالي أن أجمعها في كتاب .
وإذا كان الخطأ من سمات بني آدم ، فأنا أولى به من كل من سميت في كتابي هذا ، ولا أبرئ نفسي من العثرة والذلة ، ولكني اجتهدت في تحري الحق ، ودرجت في كل تعقباتي على ذكر عبارة « رضى □ عنك » إشارة إلى من تعقبته ، لأعطي الناشئة مثلاً في التأدب مع العلماء ، فإذا أخطأ الواحد منهم

وأنا عندما نهيت على أشياء ركب فيها بعض المتقدمين أو التأخرين خلاف الصواب ، وتجلد بعضهم فيها ، حتى ضاق عطنه عن تحرير الجواب ، ما كنت بطاعن في أحد منهم ، ولا قاصد بذلك تنديدا له ، وإزرأً عليه ، وضأ منه ، بل استيضاحا للصواب ، واسترباحاً للثواب ، مع وافر التوقير لهم والإجلال ، إذ «ما نحن فيمن مضى إلا كبقلٍ في أصول نخلٍ طوالٍ» (1) وأنا مع وضعي هذا الكتاب ، ما أبرئ نفسي ولا كتابي من الخطأ الذي لا يكاد يخلو منه تصنيف ، ولا يخلص من توغله تأليفٌ ، وأنا أعوذ بالله - باري السم - من كل ما طغى فيه القلم ، وجرى مني على الوهم وأعوذ به من كل متكلف يتبع فيه على العثرات ، ويحصى ما وقع فيه من الفلتات ، وجل همه إظهار الغلطات ، وطي السنات ، مع أنه لو أراد إنسان أن لا يخطيء في شيء من العلم لما حصل مراده مهما فعل وهيئات ، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل ، إلا بتفضل رب الأرض والسموات . بل إني أعترف فيه بكمال القصور ، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور ، وأقول للناظر في كتابي هذا : لا تأخذن في نفسك على شيئا وجدته فيه مغايرا لفهمك ،

(1) هذا قول أبي عمرو بن العلاء ، رواه عنه الخطيب في مقدمة ((موضح الأوهام)) (5 / 1) .

فإن الفهوم تختلف ، ولقلما تتفق العقول كلها وتأتلف ، ولولا اختلاف الأنظار لبارت السلع ، وهدمت صوامع وبيع ، فإن رمت الوقوف على زلة لي في مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العيلم ، فلا شك أنك واجدٌ ، وليس هذا ما يستحيا منه ، بل هو من الحامد ، والسعيد من عدت غلطاته ، وحسبت سقطاته ، وأحصوا عليه هذباته لأن هذا يدل على ندرتها يجنب حسناته والجواد يكبو ، والنار - بعد ألورها - تحبو ، والصارم ينبو ، والفتى قد يصبو . ولا يخفى عليك أن

التعقب على الكتب الطويلة سهل بالنسبة لتأليفها ، ووضعها وترصيفها ، كما يشاهد في الأبنية القديمة ، والهياكل العظيمة ، حيث يعترض على بانيتها مَنْ تَوَكَّى قَلَّه القوى والقدر ، بحيث لا يقدر على وضع حجرٍ على حجرٍ ! فهذا جوابي ، عما ورد في كتابي ، فلربما كان اعتراضك بعد هذا البيان من تجاهل العارف ، وإلا فلا يخفاك أن الزيوف تدخل على أعلى الصيارف ، أما إنكار المشار إليه أن يكون عند الآخر ما ليس عند المتقدم ، فتلك شِدَّةُ نَعْرِفِهَا من أخزم !! وكما يقول ابن قتيبة - رحمه الله - : ((قد يتعثر في الرأي جلة أهل النظر ، والعلماء المبرزون ، الخائفون لله الخاشعون . ولا نعلم أن الله تعالى أعطى أحداً موثقاً من الغلط وأماناً من الإطأ ، فنستكف له منه ، بل وصل عباده بالعجز ، وقرهم بالحاجة ، ووصفهم بالضعف ، ولا نعلمه تبارك وتعالى خص بالعلم قوماً دون قوم ، ولا وقفه على زمن دون زمن بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول ، وينبه القليل منه على ما أغفل عنه الكثير ، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم ، وتالٍ يعترض على ماضٍ ، وأوجب على كل من علم شيئاً من الحق أن يظهره وينشره ، وجعل ذلك زكاة العلم ، كما جعل الصدقة زكاة المال)) اهـ .

وصدق أبو العباس المبرد إذ قال في " الكامل " ، وهو القائل المحق : ليس لقدم العهد يُفَضَّلُ القائل ، ولا لِذَاتَانِهِ يَهْتَضَمُ الصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق . اهـ .

وما أحسن ما قاله الزمخشري في مقدمة ((المستقصى في أمثال العرب)) : ((وكأني بالعالم المنصف قد اطلع عليه فارتضاه ، وأجال فيه نظرة ذى علقٍ ، ولم يلتفت إلى حدوث عهده وقرب ميلاده ، لأنه إنما يستجيد الشيء ويستردله لجودته ورداءته في ذاته ، لا لقدمه وحدوثه ، وبالجاهل المشط قد سمع به ،

فسارع إلى تمزيق فروته ، وتوجيه العباب إليه ، ولا يعرف نبعه من كربته ، ولا صقره من حرّبه ، ولا عجم عوده ، ولا نقض تهائمته ونجوده ، والذي عساه منه أنه عمل محدث لا عمل قديم ، وحسب أن الأشياء تتقد أو تبهر . لا تليده أو طارئة .

وترى من يقول :

إذا رَضِيتُ عنى كِرَامُ عَشِيرَتِي فلا زال غضبانًا على لئامها

● قلت : وتعقبي يكون على ضربين :

أ - إما أن أكون مصيبًا في قولى ، فما المانع أن يقبل الصواب منى ؟
 ب - وإما أن أكون مخطئًا ، فعلى المعترض أن يبين ذلك بالدليل ، فليس قولًا ، ولا فى ميزان العدل كرمًا أن يقبل القول من إنسانٍ رد أنه قد ، وأن يرد على الصيب قوله لكونه حديثًا !

وقد أجاد ابن شرف القيروانى (ت 460 هـ) إذ قال :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئًا ويرى للأوائل التقديما
 إن ذاك القديم كان حديثًا وذاك الحديث سيقى قديمًا

ومع ما فتح الله تعالى به من الصواب ، وأجراه على يدى بين دفتى هذا الكتاب ، فلا أفخر بعملى ولا أزهو به فى الآفاق ، معاذ الله ! وهل بقى مع الناس اليوم من العلم - إذا ذكر الأول - إلا فضل بزاق ؟ !) هـ .
 هذا :

ولم أرتب تعقيباتى ، بل سجّلتها بحسب ما اتفق لى ، وطريقتى أنى إذا وقعت على وهمٍ ما للطبرانى مثلاً إذ يقول عن الحديث " تفرد به فلان " فإذا

وقعت على متابعة ذكرتها ، وقد تكون المتابعة في كتاب اشهر من الكتاب الذى ذكرته ، فإننى لم أتحرك ذلك ، بل كان قصدى بيان أنه لم يتفرد ، وإن كان الأولى أن أسجل المتابعة من الكتب حسب ترتيبها عند أهل العلم ، وقد ذكرت ذلك حتى لا أتعقب به ، وقد راعيت هذا الأمر فى كتابى « عودُ الجانى بتسديد الأوهام الواقعة فى أوسط الطيراني » وسأدفعه للطبع قريباً إن شاء الله تعالى .
 وأسأل الله تعالى أن يجزل مثوبة علمائنا ، وأن يتجاوز عما أخطأوا فيه ، وأن يرزق الناشئة الادب ورعاية الحق مع اهل الفضل ، وان يردنا إلى ديننا رداً جميلاً ،
 وإمداداً أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً .

(تنبيه) أكثر ما ورد فى هذه المقدمة كتبته قديماً سنة (1409 هـ) وأضفت إليها شيئاً يسيراً من آخرها . وإمداداً .

وكتبه

أبو اسحاق الحويني الأثري

حامدا □ تعالى ، ومصليا على

نبينا محمد وآله وصحبه ،

جمادى الآخرة / 1418 هـ

www.alheweny.jeeran.com